قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

س: ما دليل الإيمان بالكتب؟

ج: أدلَّته كثيرةٌ:

منها قوله تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ﴾[النِّساء:١٣٦].

وقوله تَعَالَىٰ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ﴾ [البقرة:١٣٦] الآيات.

وغيرها كثيرٌ.

ويكفي في ذلك قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ﴾[الشُّورى:١٥].

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

لمَّا فرغ المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ مِن ذِكر الرُّكن الثَّاني مِن أركان الإيمان - وهو الإيمان بالملائكة - أتبعه بذِكر الإيمان بالكتب؛ لأنَّ الملائكة ينزلون بها على الرُّسل[1]؛ فأورد سؤالًا قال فيه: (ما دليل الإيمان بالكتب؟).

---

(١) وإنَّما ناسَب ذِكرُها بعد الإيمان بالملائكة؛ لأنَّ مِن وظائف الملائكة: النُّزول بكتاب الوحي على الأنبياء؛ فلكونه من أعمالها جُعِل ثالثًا بعدها. [شرح برنامج التَّعليم المستمر].

ثمَّ أجاب عنه بإيراد آياتٍ مِن القرآن الكريم؛ (منها قوله تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾[النِّساء:١٣٦]) يعني القرآن، (﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ﴾[النِّساء:١٣٦]) أي مِن جميع الكُتب المتقدِّمة على القرآن الكريم ممَّا عُرِف اسمُه أو جُهِل ممَّا أنزله الله عَزَّوَجَلَّ على الأنبياء.

فقوله تَعَالَىٰ: (﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ﴾[النِّساء:١٣٦]) يُراد به جِنس الكُتب المنزَّلة على الأنبياء؛ ممَّا عَرفنا اسمه كالتَّوراة، والإنجيل، وما لم نعرف اسمه مِن كُتب الله التَّي أنزلها على أنبيائه.

ثمَّ قال: (وقوله تَعَالَىٰ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ﴾[البقرة:١٣٦]) الآية.

فقوله: (﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾[البقرة:١٣٦]) أي بالكتاب الَّذي أُنزِل إلينا؛ وهو القرآن الكريم.

وقوله: (﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ﴾[البقرة:١٣٦]) إلى آخر الآية؛ أي ما أُنزِل مِن الكُتب على أولئك الأنبياء المتقدِّمين على نبيِّنا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

ثمَّ ذكر آيةً ثالثةً؛ وهي قوله تَعَالَىٰ: (﴿وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ﴾[الشُّورى:١٥])؛ وهذا يشمل كلَّ كتابٍ أنزله الله عَزَّوَجَلَّ مِن الكُتب الَّتي أُنزِلت على الأنبياء.

وهذه الآيات الَّتي ذكرها المصنِّف تدلُّ على الإيمان بالكتب بطريقين:

- **أحدهما**: التَّصريح بذلك؛ بذِكر (الكتاب)، وأصل هذا الاسم مأخوذٌ مِن (الكَتْب)؛ وهو الجَمع.

- **والآخر**: ذِكرها بالإشارة إلى أنَّها منزَّلةٌ مِن عند الله عَزَّوَجَلَّ؛ فأصل المنزَّل منه هو الوحي، وهذا الوحي يكون منه ما يكون في الكتب الَّتي أنزلها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فالإشارة إليها باسم (الكتاب) للإشارة إلى كونها مجموعةً؛ فيُنزَل على النَّبيِّ أو الرَّسول كتابٌ يُجمَع مِن آيات الله المنزَّلة عليه.

وذكرها باسم (المنزَّل) إشارةٌ إلى أنَّها مِن عند الله عَزَّوَجَلَّ.

وقد يُذكَر (الكتاب) ويُراد به الإشارةُ إلى المُنزَّل ممَّا هو في اللَّوح المحفوظ؛ كقوله تَعَالَىٰ في سورة البقرة: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ﴾ [البقرة:٢]؛ فإنَّ الإشارة هنا إلى القرآن حال كونه في اللَّوح المحفوظ؛ لأنَّ (ذلك) اسم إشارةٍ للبعيد.

ويجيءُ في القرآن الإشارة إلى (الكتاب) باسم الإشارة البعيد، وباسم الإشارة القريب.

○ فإن ذُكِر باسم الإشارة البعيد فالمراد به: القرآن حالَ كونه مكتوبًا في صحف اللَّوح المحفوظ.

○ وإذا كان مذكورًا باسم الإشارة القريب فالمراد به: الإشارة إلى القرآن حال كونه بيننا.

أمَّا (القرآن الكريم) فإنَّ الإشارة إليه تجيءُ في القرآن بالقُرب فقط؛ كقوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩].

ولم يقع الإشارة في القرآن إليه باسم الإشارة البعيد؛ لأنَّ هذا الاسمَ هو له حال كونه مقروءًا بيننا؛ فليس نظيرًا للاسم الآخر (الكتاب) مِن كلِّ وجهٍ.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

س: هل سُمِّيَت جميع الكتب في القرآن؟

ج: سمَّى الله منها في القرآن: هو، والتَّوراةَ، والإنجيلَ، والزَّبورَ، وصحفَ إبراهيمَ وموسى، وذَكر الباقي جملةً.

فقال تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ﴾[آل عمران:٢-٤].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ۝١٦٣﴾[النِّساء].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ۝٣٧﴾[النَّجم].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾[الحديد:٢٥].

فما ذَكر اللهُ منها تفصيلًا وجب علينا الإيمان به تفصيلًا، وما ذكر منها إجمالًا وجب علينا الإيمان به إجمالًا، فنقول فيه ما أمرَ اللهُ به رسولَه: ﴿وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ﴾[الشُّورى:١٥].

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ سؤالًا آخر يتعلَّق بالإيمان بالكُتب؛ فقال: (هل سُمِّيت جميع الكتب في القرآن؟).

ثمَّ أجاب عنه بقوله: (سـمَّى الله منها في القرآن: هو، والتَّوراةَ، والإنجيلَ، والزَّبورَ، وصحفَ إبراهيمَ وموسى، وذَكر الباقي جملةً)؛ **وهذا يفيد أنَّ ذِكر الكتب في القرآن وَقَع بطريقين:**

- **أحدهما**: طريق التَّفصيل؛ بتسمية ما سُمِّي منها.
- **والآخر**: طريق الإجمال؛ بذِكر جُملتها دون أسمائها.

وأَجمع أهل العِلم على أنَّ المذكور منها في القرآن خمسةٌ، واختلفوا في السَّادس:

✓ **فالأوَّل**: القرآن.

✓ **والثَّاني**: (التَّوراة).

✓ **والثَّالث**: (الإنجيل).

✓ **والرَّابع**: (الزَّبور).

✓ **والخامس**: (صحف إبراهيمَ).

فهذه الكُتب الخمسة أُجمِع عليها.

واختُلِف في السَّادس؛ وهو صحف موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ:

○ فمِن أهل العِلم مَن أثبتها كتابًا مستقِلًّا عن التَّوراة.

○ ومنهم مَن جَعلها التَّوراةَ نفسَها.

والقول الثَّاني أصحُّ؛ أنَّ صُحف موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هي التَّوراة.

ثمَّ ذكر المصنِّف آياتٍ دالَّةً على ذلك؛ فذكر قوله تَعَالَىٰ: (﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ﴾ [آل عمران: ٣،٤])؛ ففيها ذِكر التَّوراة والإنجيل.

وذكر قوله تَعَالَىٰ: (﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ۝١٦٣﴾ [النِّساء])؛ فسَمَّى كتاب داودَ: الزَّبورَ.

ثـمَّ ذكـر قـولـه تَعَالَىٰ: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ [النَّجم])؛ فذَكر صـحف موسـى وإبراهيمَ، وكذلك في آيتي سـورة الأعلى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [الأعلى].

ثـمَّ خـتـم بـقـولـه تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ [الحديد:٢٥])؛ وهذا دالٌّ على بقيَّتها جملةً.

وما ذُكِر منها تفصيلًا باسـمه: وَجب الإيمان باسـمه، وما لم يُذكَر: فإنَّه يجب علينا الإيمان به إجمالًا.

وهذه الكُتب اختَصَّ الله عَزَّوَجَلَّ بِها مَن اختَصَّ مِن أنبيائه؛ وهم إبراهيمُ، وموسـى، وعيسى، وداودُ، ومحمَّدٌ = عليهم الصَّلاة والسَّلام؛ فعلى هؤلاء أُنزِلت هذه الكُتب:

- ✓ فأُنزِل على محمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: القرآن.
- ✓ وأُنزِل على إبراهيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: الصُّحفُ.
- ✓ وأُنزِل على موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: التَّوراةُ؛ الَّتي هي ذات صُحُفٍ.
- ✓ وأُنزِل على عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: الإنجيلُ.
- ✓ وأُنزِل على داودَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: الزَّبور.

وأصل (الزَّبور): الكتاب المجموع، ثمَّ خُصَّ كتاب داودَ باسم (الزَّبور).

فقول الله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ [الأنبياء:١٠٥] أي في الكُتب المجموعة للأنبياء؛ فوقع (الزَّبور) هنا على المعنى العامِّ، فليس اسـمًا لكتاب داودَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

ثمَّ قال: ﴿مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ﴾ [الأنبياء:١٠٥] يعني اللَّوح المحفوظ.

و(الذِّكر) يقع:

- اسمًا للَّوح المحفوظ.
- واسمًا للقرآن الكريم.

ذكره أبو عبد الله ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

وورد في «صحيح البخاريِّ» أنَّ (الذِّكر) يقع اسمًا للَّوح المحفوظ، لكنَّه قليل الاستعمال في القرآن والسُّنَّة[1][2].

---

(١) **وأصل (الزَّبور)**: اسمٌ لجميع الكتب، لكنه اختصَّ بعد ذلك بالعَلَمِيَّة بما أنزله الله عَزَّوَجَلَّ على داودَ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

فمثلًا: قول الله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ١٠٥﴾ [الأنبياء] أي ولقد كَتبنا في الكتب المنزَّلة على الأنبياء؛ لأنَّ (الزَّبْر) هو الجَمع، ﴿مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ﴾ يعني اللَّوح المحفوظ؛ كما ذكر ذلك ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في «شفاء العليل»؛ ووقع التَّصريح به في «صحيح البخاريِّ» في (كتاب التَّوحيد).

فإنَّ (الذِّكر) اسمٌ لـ (للَّوح المحفوظ) أيضًا، كما أنَّه اسمٌ لـ (القرآن).

فمعنى الآية: ولقد كتبنا في الكُتب المُنَزَّلة على الأنبياء بعد ما كَتبناه في اللَّوح المحفوظ أنَّ الأرض يَرثها عباد الله الصَّالحون. [شرح برنامج التَّعليم المستمر].

(٢) إلى هنا تمام المجلس الحادي عشر، وكان بعد المغرب ليلة الإثنين الرَّابع والعشرين من شهر ربيعٍ الآخر، سنة ثلاثٍ وأربعين بعد الأربعمائة والألف، ومدَّتُه: خمسٌ وخمسون دقيقةً.